موقع الإنسان بين مفهومي العدل في المسيحية والإسلام

أة/ عائشة أوهاب

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية -جامعة البويرة-

الملخص باللغة العربية

الإنسان كائن أخلاقي متشوف للكمال ومتطلع للتسامي دائما، وما من شك أن الديانات السماوية قد اشتركت في الدعوة والحث على تجسيد القيم العليا في الأخلاق لتحقيق غاية الخلق والاستخلاف. ولأن العدالة هي أولى فضائل النشاط البشري كما قال جون رولز، فقد تناولت هذه القيمة العليا وعلاقتها بالإنسان من خلال منظور المسيحية والإسلام من الناحيتين النظرية والتطبيقية وأعلى مراتبها متمثلة في نظرية المحبة المسيحية ولأن الإسلام وسط واعتدال بين شريعة الخوف وشريعة الحب كما قال د عبد الله دراز «جاءت نظرية الإحسان في الإسلام تجسيدا للتسامي في تطبيق العدل على سبيل التخيير لا الإلزام.

الكلمات المفتاحية: المسيحية، الإسلام، الإنسان، العدل، المحبة، الإحسان.

الملخص باللغة الأجنبية

Abstract

Man is a moral being always seeking perfection and looking forward to ascension. There is no doubt that the heavenly religions have participated in the call and urged to reflect the highest values of morality to achieve the goal of creation and succession. As justice is

the first virtue of human activity، as John Rolls said، I dealt with this supreme value and its relationship with man through the perspective of Christianity and Islam in terms of theory and practice and its highest ranks represented in the theory of Christian love and because Islam is moderation between the law of fear and the law of love، as said by Dr. Abdullah Deraz، "the theory of charity in Islam came to reflect the rise in the application of justice by choice not obligation.

Keywords: *Christianity, Islam, Man, Justice, Love, Charity.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين و على آله و صحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن القيم العليا في الأخلاق شأن يجمع الإنسانية وعليها قوام البناء الحضاري، والاجتماع البشري، وبما أن أكثر سكان الارض ينتمون إلى حركة النبوة، ومعظم هؤلاء من المسيحيين والمسلمين. فإن في البحث في هذه القيم وأبعادها في الديانتين المسحية والإسلامية، تحقيق لإمكانية التعارف والتعاون التي حث عليها القرآن، بعد أن أكد على وحدة النفس البشرية وعلى غاية الخلق والاستخلاف، فكل الديانات السماوية دعت في جوهرها إلى الفضائل الأخلاقية وسعت للسمو بالإنسان إلى الكمال.

وقد جاءت المسيحية بمذهب أخلاقي لا ينظر إلى الأثر المادي للفعل بل للمقصد الاخلاقي للفاعل، فقد قدم المسيح معاني ثورية في تفسير الشريعة الموسوية ومنها ما يطلق عليه بعض العلماء المسيحيين (المحبة العادلة) وهي جامعة للفضائل كلها وقد حث عليها المسيح وجعلها واجبا من الواجبات وشرطا للحصول على الحياة الخالدة إلى جانب يسوع.

وجاء الإسلام ليربط بين التوحيد الخالص وبعده الإنساني، وبين عدل الله والعدالة الاجتماعية، وهو شاهد على السند الديني لهذه القيمة الاخلاقية العليا، فهي ميزان الله المبرأ من كل زلة وهي أكمل الفضائل كما قال الراغب الأصفهاني، و قد وجه القرآن الكريم خطابه إلى الإنسان الحي الواقعي بفضائله ورذائله، وفي تساميه وارتكاسه.

وقد حاولت في هذا المقال البحث في مفهوم العدالة والمحبة والاحسان في المسيحية والإسلام وأبعادها ومدى اتساقها مع مقاصد الأديان وفطرة الإنسان.

وعليه فإن المنهج الذي ينسجم مع طبيعة هذا الموضوع لا يخرج عن المنهج الوصفي التحليلي وذلك بعرض الأفكار وتحديد مضمونها دون تعصب ولا تحيز، والمنهج المقارن لمقارنة مجالات الاشتراك والتباين بين الديانتين في مسألة العدالة.

وسينتظم هذا المقال في مقدمة و ثلاثة مطالب وخاتمة على النحو التالي:

المطلب الأول: التعريف بمفردات البحث وأبعادها وفيه:

أولا: الانسان في المسيحية والاسلام

ثانيا: مفهوم العدل في المسيحية والإسلام

المطلب الثاني: العدل الإلهي في تعلقه بالإنسان بين المسيحية والاسلام ومجالاته.

المطلب الثالث: المحبة والإحسان بين تعاليم المسيحية والشريعة الاسلامية وفيه:

عرض وتحليل لنظرية المحبة العادلة ومكانتها في المسيحية وأثرها، ثم الاحسان وعلاقته بالعدل في الاسلام.

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المطلب الأول: التعريف بمفردات البحث وأبعادها

أولا: الإنسان في المسيحية والإسلام

يمثل الإنسان غاية الرسالات السماوية، التي جاءت للارتقاء به إلى أعلى مراتب الكمال، وجعلت من الإرشادات، والتوجيهات وسيلة لتحقيق هذا الغرض، إلا أنّ ذلك يختلف باختلاف النظر إلى الإنسان، فلا يُفهم سِر الإنسان إلا من خلال الكلمة المتجسدة. فالمسيحية تنظر إلى الإنسان على أنه «صورة الله» وهو ما يمثل سببا كافيا لفعل الله الرحيم المتمثل في إرسال المسيح.[1] وقد شبه النصارى اجتماع جوهرين هما الروح والجسد في الإنسان باتحاد اللاهوت والناسوت في المسيح- عليه السلام- «لقد رأى آباء الكنيسة في هذه الطبيعة الواحدة في الإنسان المتكونة من اتحاد الروح والجسد وهما في الأصل من طبيعتين مختلفتين، صورة لاتحاد اللاهوت والناسوت. [2]» وهكذا فقد أضفت المسيحية على الإنسان بُعدا إضافيا فبَعد أن كان الإنسان صورة الله غير المنظورة أصبح «المسيح صورة الله المنظورة بتجسده، ويجسد الإنسان صورة المسيح بمحبته إخوته وخدمتهم وبالقيم التي يعيشها، فيصبح أخاً للمسيح وابناً لله[3]». وهكذا «صار آدم الإنسان الأول نفساً حية، وآدم الأخير روحا محييا»[كورنثيوس: 1/ 15].

(1) مقال النظرة إلى الإنسان كمحور لحركة الوجود والرسالات: الأب: يوسف موسى- الإسلام والمسيحية: بحوث في نظام القيم المعاصر؛ معهد الدراسات الإسلامي للمعارف الحكمية، ص: 121.

(2) موسوعة الروح: الروح في الديانات الكتابية والوضعية؛ د: علي العبيدي، ص: 53-53؛

(3) النظرة إلى الإنسان كمحور لحركة الوجود والرسالات؛ د: الأب: يوسف مؤنس؛ ص: 121.

فالعهد الجديد يبشر بتجديد الانسان تحت تأثير الروح الذي يهبه قلبا جديدا قادرا على معرفة الله ويرشده إلى إنسانيته الحقيقية، إنه مخلوق على صورة الله في البر والقداسة. وفي رسالة بولس إلى أهل قولسي: «...فقد خلعتم الإنسان القديم وخلعتم معه أعماله ولبستم الإنسان الجديد. ذاك الذي يتجدد على صورة خالقه ليصل إلى المعرفة»[أهل قولسي:2/ 5][1]

بينما يرى الإسلام أنّ الإنسان هو وحده من يملك القابلية لتحقيق الرسالة الإلهية، لكونها مبنية وجودا وعدما على إرادته الحرة المسؤولة، وبما أن كل مخلوق ميسر ومؤهل لما خلق له، فإن الإنسان قادر على تحصيل المعرفة الكافية بالإرادة الإلهية المتعلقة بالمستوى القيمي الأخلاقي بالوحي المنزل وبالفطرة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾(البقرة:-32-33).[2]

لذلك كان التوحيد هو الذي يحدد قيمة الإنسان على حقيقته، وينزله منزلته اللائقة به، فهو يحترم الإنسان بصفته إنسانا مخلوقا، دون تأليه أو تحقير، ومن ثم كان الخطاب التكليفي مراعيا لأحواله، وقاصدا للارتقاء به، ليحقق التوافق مع الفطرة التى فطر الله كل البشر عليها ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الروم:30). وذلك لإعدادهم للقيام بمهمتهم النبيلة. وهى الوحيدة التي تحدد فضائل ومثاليات الحياة الإنسانية بمحتوى مماثل للحياة

(1) الكتاب المقدس. النسخة اليسوعية ص2672-الهامش-بتصرف.

(2) انظر التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، مقدمة المترجم:ص16.

الفطرية، وليس بالتنكر لها، مما يجعل إنسانيتها غير زاهدة في الحياة وأخلاقية في آن واحد.

وخصّ الله تعالى الإنسان بالتكريم دون سائر المخلوقات ،إذ خلقه في أحسن صورة وفي أحسن تقويم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(التين :4) وليس هذا التكريم بسبب عنصره ولا بقوة الجسم وطول العمر...وإنما بما خصّه الله به وهو المعنى الذي ضمنه فيه، والأمر الذي رشحه له وهذا ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾(ص/ 72) وبقوله: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ (ص/ 75). فكان ذلك تكريماً للكائن البشري وتمييزاً له عن سائر المخلوقات.[1]

ومن تمام التكريم الإلهي للإنسان أن خلقه خلقا مستقلا مكتملا، وهذا الوجود المستقل ينفي كل معنى من معاني الوجود المنخرط في سلسلة المخلوقات السابقة على سبيل التطور والترقي.[2]

ومن التّكريم الإلهي للإنسان تحميله الأمانة، ووظيفة عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(الأحزاب/ 72)، وبهذا التكريم يكون الإنسان مسؤولا عن نفسه، وعن خياراته، وأعماله، وسينال جزاء أعماله في الآخرة، وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، في احترام إرادته، واختياراته.

(1) انظر تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين :أبو القاسم الحسين، الراغب الاصفهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت –لبنان، 1985. 45-46.

(2) انظر مبدأ الإنسان، د/ عبدالمجيد النجار، ص:132.

والتكليف هو أساس إنسانية الإنسان، وهو لب معناها ومحتواها. ويقوم هذا التكليف بتحقيق العدل في حياته وتأمين الاستقرار في علاقاته بالآخرين، ومن هذا التكليف تتشكل الأهمية الكونية للإنسان.[1].

ثانيا: مفهوم العدل في المسيحية و الاسلام

أ-العدل في المسيحية من صفات الله الثابتة له والتي تظهر آثارها في أفعاله.

وقد جاء في العهد القديم: «الرب عادل ويحب العدل» [مزمور:1/ 8]، فالعدل وان كان ينظر فيه إلى الفعل لكنه لا يخرج بذلك عن كونه ذات الله.. لأن ما هو من ماهية الشيء أيضا يمكن أن يكون مبدأ الفعل[2] وفي إنجيل يوحنا: «أحكم وحكمي عادل لأنني لا أعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» [يوحنا:4/ 24]...

وتعني العدالة – حسب هذا النص الحكم بمشيئة الغير... غير أن هذا الغير محدد ومعين «الذي أرسلني»... وهو الله بالذات... الذي من صفاته العدالة... ويصبح الاستنتاج من هنا، أن حكم يسوع العادل هو عادل بفضل مجموعة من المعطيات والصفات والشروط.[3]

وعلى غرار تمييز القدماء بين أنواع من العدالة خاصة في الفلسفة الإغريقية، حيث قسموا العدالة إلى العدالة التبادلية، والعدالة التوزيعية والعدالة لجزائية.[4]

(1) انظر التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، د/ الفاروقي: 127.

(2) الخلاصة اللاهوتية؛ توما الاكويني؛ ج 1، ص: 286..

(3) قضايا الفكر السياسي- العدالة-؛ د:ملحم قربان؛ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع؛ بيروت، لبنان؛ ط 1-1412هـ-1992م،ص:33-34-بتصرف-.

(4) المؤنس في القيم؛ د/ محمد الشيخ؛ ص:239- بتصرف- والعدالة التبادلية هي التساوي في الخيرات التي يتم تبادلها بين السكان، والتوزيعية كما يدل عليه اللفظ يقصد بها التساوي في توزيع الخيرات والجزائية تتمثل في معاقبة كل من لم يعدل في سلوكه تجاه غيره.

حاول توما الاكويني صهر المذاهب والفلسفات الأخلاقية اليونانية مع المبادئ المسيحية في التمييز بين العدل الإلهي والعدل كقيمة تنظم السلوك الإنساني فالعدل حسبه ضربان:

- **أحدهما**: قائم في الإيجاب والقبول من الطرفين كالعدل القائم في الشراء والبيع ونحو ذلك من المشاركات والمبادلات وهو العدل البدلي وهذا ليس يلائم الله لأنه من سبق فأعطى.

- **والثاني**: قائم في التوزيع ويقال له العدل التوزيعي وهو ما به يعطي مدبرا أو مقسَّم - كذا- كلاً بحسب مقامه، وكذلك نظام العالم المشاهد في الأشياء الطبيعية والإرادية يفصح عن عدل الله... فإذا ما يفعله بحسب إرادته فانه بفعله بالعدل كما أن ما نفعله نحن على وقف الشريعة فإننا نفعله بالعدل غير أننا نحن نفعل على وفق شريعة شارع أعلى، والله هو شريعة لنفسه[1] ؛فانه متفضل بالخلق والإبداع والتكليف، لا عن وجوب، ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم. وإذا أثاب على الطاعات فبحكم عدل هو محض جود وكرم صار بمشيئته حقا وفاءً.[2]

ب –مفهوم العدل في الاسلام

ذكر الراغب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: 90]، فإن العدل هو المساواة في المكافأة، إن خيرا فخير، وإن شرّا فشرّ.[3].

(1) انظر: الخلاصة اللاهوتية، توما الاكويني،ج1،ص:284-285.

(2) العدالة الإلهية في المسيحية؛ فريداجبر،ص:15-بتصرف-، العدالة في المسيحية والاسلام، محاضرات الندوة- السنة العشرون- عدد؛ 11-12؛.

(3) غريب ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، مادة: عدل.

وقد وردت لفظة العدل بمشتقاتها في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعا، وبصيغ متعددة مصدرا وصفة وماضيا ومضارعا وأمرا، واختلف معناها باختلاف السياق الذي وردت فيه.[1]

وإذا تتبعنا الألفاظ ذات صلة بمفهوم العدل كالقسط والميزان، وما يقابله كالظلم وما في معناه بمشتقاتها نخلص إلى حقيقة لا يمتري فيها أحد، وهي أهمية العدل كقيمة كونية قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾[الرحمن: 7-8]، وقيمة حضارية تعم الإنسانية جمعاء، وتتوزع في شُعب الحياة كلها.

العدل من أسماء الله تعالى

العدل من أسماء الله الحسنى: وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، أو «هو البريء من الظلم في أحكامه، المنزه عن الجور في أفعاله»، وهو في الأصل مصدر سمي به، فوضع موضع اسم الفاعل أي العادل، والمصدر أبلغ منه، لأنه جعل المسمىَ نفسه عدلا.[2]

وسُمي الله تعالى عدلا من أجل أن أفعاله تقع على طريقة مستقيمة.[3]

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص: 448-449.

(2) النهاية لابن الأثير: 3/ 90، لسان العرب:(باب اللام فصل العين، 11/ 430)،شرح أسماء الله الحسنى أحمد الفاسي المعروف بـ «زروق»، تحقيق: أحمد الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة. (ط) الأولى، 2009م،ص:64.

(3) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، ص:350. وذهب فريق آخر من العلماء إلى عدم اعتبار العدل من أسماء الله الحسنى، لأنه لم يرد إطلاقه اسما، وقد تكلم العلماء في الحديث الوارد في ذلك وضعفوا رفع العدّ إلى النبي ﷺ، ونقل ابن حجر عن ابن العربي، قوله: «يحتمل أن تكون الأسماء تكملة الحديث المرفوع ويحتمل أن تكون من جمع بعض الرواة، وهو الأظهر عند بعض الرواة،على أنّه قد ثبت وصفه سبحانه بالعدل في أفعاله، كما في حديث عبدالله بن مسعود، في شأن الذي

المطلب الثاني: العدل الإلهي في تعلقه بالإنسان بين المسيحية والإسلام

الإنسان في المسيحية متقلب بين عدله الله وفضله ورحمته، فإن من عدل الله، أن يتم في الأشياء ما هو حاصل في حكمته وإرادته وما يُظهر خيريته وبهذا الاعتبار؛ فان عدل الله ينظر إلى لياقته التي بها يوفى ذاته ما يجب له... والواجب أيضا لشيء مخلوق أن يحصل على ما يتجه إليه كما يجب للإنسان أن يكون له يَدان وأن يخدمه سائر الحيوان، وهكذا فان الله يعدل متى أعطى كل شيء بحسب اعتبار طبعه وحاله، على أن الله وان أعطى شيئا لكنه ليس مدينا لأحد، إذ انه ليس متجها لغيره بل بالأحرى غيره متجه إليه، ولذا يطلق العدل في الله تارة على اللياقة بخيريته، وتارة على المجازاة بحسب الاستحقاقات. وقد أشار **أنسلموس** إلى ذلك بقوله: «إذا عاقبت الأشرار فذلك عدل لأنه مناسب لاستحقاقهم، وإذا عفوت عنهم فذلك عدل لأنه لائق بخيرتيك».[1]

وعدل الله ورحمته يظهران أيضا «في ابتلاء الأبرار في هذه الدنيا من حيث أنهم يتطهرون بهذه البلايا من بعض الأوزار الخفيفة ويغدون أشد نزوعا عن الأرضيات إلى الله، كما أن هناك اعتبار العدل من حيث أن الأشياء» تخرج إلى الوجود بحسب ما يلائم حكمة الله وخيريته على افتراض شيء سابق في معرفة الله»[2] فان الله إذا آلم وأسقم، فإنما يُخرج من الشر الخير عند الحاجة وهو سبحانه

=اعترض على قسم رسول الله ﷺ، فقال: «فمن يعدلُ إذالم يعدِل الله ورسولُه». فتح الباري: 11/ 217. والحديث أخرجه البخاري: كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، رقم:3150، ومسلم في الزكاة باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم:1062.

(1) الخلاصة اللاهوتية، توما اللاكويني، ج 1،ص: 285،286.

(2) الخلاصة اللاهوتية، توما اللاكويني،ج1،ص:286 و291- بتصرف-.

أحسن نظرا بعباده منهم لأنفسهم، أي أنه لم يكن ليختار لنا الحسن لحسنه فقط، بل لكونه إحسانا أيضا.

هذا، من حيث ما يقتضيه العقل من الحكمة والعناية في تدبير الأمور، ومنعا من إساءة الفهم لكل ما بدا ظلما،[1]،بيد أن المسيحي يؤمن أيضا أن الله فاعل على الحقيقة ومتصرف في ملكه، فهو عدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وقد حاول المسيح من خلال تعاليمه- نقل القيم وتمثلها من دائرة القريب إلى فضاء الإنسانية وذلك بالتأكيد على شمول مبدأ العدالة للمخالف أيضا وبوجوب التشبه بالله الذي يمطر مطره ويرفع شمسه على ذوي الخير وذوي الشر ولا يحابي.[2]

«لا تدينوا لئلا تُدانوا، فكما تدينون تدانون، ويُكال لكم بما تكيلوا،... فكل ما أردتم إن يفعل الناس لكم افعلوه أنتم لهم: هذه هي الشريعة والأنبياء [متى:7/ 1،4-5].

إنّ جوهر المسيحية موجود في هذه القاعدة الذهبية ،فالإنسان العادل بنظر المسيح لا يدين أحداً، ولا يعتدّ بما يأتي به من أعمال البّر، والعدل، وهو الذي يتعامل مع الآخرين بمقتضى قيمة العدل فهذا التواضع وهذه المجانية دليل امتلاء نفس الإنسان «وقال لهم: انتبهوا لما تَسمعون، فبما تكيلون يكال لكم وتزادون، لأن من كان له شيء يُعطى ومن ليس له شيء ينزع منه حتى الذي له» [مرقس:4/ 18].

(1) العدالة الإلهية في المسيحية؛ فريدا جبر؛ ص:14-15- بتصرف-.

(2) انظر: العدالة الإلهية؛ فريدا جبر؛ ص:18-19.

«وأعفنا مما علينا فقد أعفينا نحن أيضا من لنا عليه... فان تغفروا للناس زلاتهم، يغفر لكم أبوكم السماوي، وان لم تغفروا للناس لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم» [متى:6/ 12-14-15]؛ ومغفرة الله هي محض رحمة وإحسان، فكل برّ يأتيه الإنسان، إنما هو دليل على الإمتنان.

«إن يسوع، وهو الذي يربط ربطا وثيقا بين واجباتنا نحو الله وواجباتنا نحو إخوتنا، كثيرا ما أعلن أن الله يمنحنا غفرانه إن غفرنا لإخوتنا، وهذا الغفران الأخوي لا يكتسب الغفران لنا ولا يستحقه، بل يشهد لصدق طلبنا (وهذا مايدل عليه متَّى باستعمال الصيغة في الماضي).[1]

إنّ تعاليم للمسيح توجه إلى السلوك الذي يفرض الاعتراف بحقوق الآخرين واحترامها، وتحقيق العدالة والإنصاف «إذا خطئ –هكذا- أخوك، فاذهب إليه وانفرد به ووبخه فإذا سمع لك، فقد ربحت أخاك، وان لم يسمع لك فخذ معك رجلاً أو رجلين، لكي يُحكم في كل قضية بناءً على كلام شاهدين أو ثلاثة، فان لم يسمع لهما فأخبر الكنيسة بأمره، وان لم يسمع للكنيسة أيضا، فليكن عندك كالوثني والعشّار» [متى:18/ 10-13].

فالمحبة والتسامح لا يعني أن يترك المخطئ ليسترسل في الخطأ؛ فان مثل هذا الإنسان يجب أن يوجهّ وينصح ويؤدّب إذا لزم الأمر، لكن هذا التأديب ينبغي أن يطبق بروح المحبة المتواضعة وهدف التأديب يجب إن يكون على دوام المصالحة[2] ،والمسيح في هذا النص لا ينكر أهمية وجود مؤسسة تقوم على رعاية

(1) الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية،ص:2097،الهامش وانظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د:علي عبد الواحد وافي؛ مكتبة نهضة مصر،ط1، 1384هـ-1964م،ص73.

(2) انظر: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية؛ كريمة دوز،ص:136،نقلا عن: تفسير العهد الجديد؛ وليم باركلي، ت: فايز فارس؛ ج1،ص:333.

شؤون العامة بل إنه يوجه إلى تبنيَّ أصول للمرافعة ترعاها الكنيسة، وفي لوقا يحث يسوع القاضي أن يضطلع بما يتعيَّن عليه دون إبطاء لأن عدالة الله لا تمهل وعدله يستغرق جميع الخلق. وفي النص الذي ذكر في مستهل هذا البحث يشير يسوع إلى الشروط التي ينبغي توافرها لكي يكتسي الحكم صفة العدل: فمع كونه- ابن الله- فانه اسند ادعاءه بعدالة حكمه بمرجعية لا يمكن التشكيك فيها وهو الحاكم الذي أرسله «الله» وفي هذا توجيه للسامعين إلى عدم إتباع الهوى والى ضرورة وجود معطيات وصفات وشروط للحكم «لا تحكموا على الظاهر بلاحكموا بالعدل» [يوحنا4/ 27][(1)]

ويعود المسيح بهذه العدالة الإلهية» إلى مفهومها الأصلي في العهد القديم: فهي العمل المنجي و«السلوك العادل» وهي عدالة الله وعدالة الإنسان» معا دائما؛ فهي في الله، الاستقامة والقداسة والكمال، وفي الإنسان بمعنى العدول إليه والرجوع واللجوء والتوبة.[2]

وأمّا العدل في الإسلام فقد ذكر العلامة الأصفهاني في كتابيه «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«ألفاظ غريب القرآن»، أنّ العدل نوعان:

-أحدهما عدل مطلق ثابت لا يقبل النسخ والإلغاء، تدرك العقول آثاره ونفعه، وتتوافق على حسنه.

-وثانيهما يدرك بالشرع، ويمكن أن يعتريه النسخ، في حالات بحسب المصلحة المتوخاة.[(3)]

(1) انظر: قضايا الفكر السياسي؛ ص:34،33، والنص المقصود: «أحكم وحكمي عادل لأني لا اعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» [يوحنا:4/ 24].

(2) العدالة الإلهية؛ فريدا جبر؛ ص:19- بتصرف.

(3) غريب ألفاظ القرآن:1/ 552، والذريعة إلى مكارم الشريعة:250.

والمعنى المحوري لمفهوم العدل في القرآن الكريم هو تحقيق التوازن بانتظام الكائنات وحياتها، ومن هذا المعنى تفرعت عنه سائر المعاني الأخرى، ومن ثَم يظهر المعنى الشمولي للعدل باعتباره نظاما للكون، قائما على التوازن والانسجام، وارتباط هذا المفهوم الشمولي للعدل بالحق بكل معانيه.[1]

والعدل حقيقته إحسان ،يتعدى نفعه إلى كل من تعلق به، من ظالم ومظلوم، وغابن ومغبون، وباذل ومبذول له.[2]

وأمّا مسلك المتكلمين من المسلمين في تحديد مفهوم العدل، فقد كانوا يرون أنّه قائم على المزج بين العقل والنقل، في محاولة توفيقية، باعتبار أنّ العدل محدد بالوحي، لأنّه لا مجال للعقل في إدراك الحسن والقبح من القيّم والصفات إلا بتحديد من الشرع[3]،ومنهم من أفاد من التراث الفلسفي الأخلاقي اليوناني جاعلا من مفهوم العدل قيمة مرجعية عقلية اجتماعية، فالعدل من هذا المنظور مفهوم مطلق، وقيمة مثالية، ومبدأ ضروري، هو قوام الوجود الطبيعي والأخلاقي، وهذا المفهوم يعتمد العقل مرجعية أساسية له.[4]

بينما اعتبر المعتزلة العدل أحد الأصول الذي يبنى عليه مذهبهم، ويرون أنّ الله كامل من كل وجه، كمالا تجريديا يتفق وجلالَه ووحدانيته، وأنّ الذات الإلهية المنزهة عن مدركات الحواس الإنسانية، وإنما تدرك عن طريق العقل

(1) منظومة القيم المرجعية في الاسلام، ص:172.

(2) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال : الإمام العز بن عبد السلام السلمي، أعتنى به حسان عبد المنان ،بيت الأفكار الدولية. عمان .د.ت ص:203) .

(3)منظومة القيم المرجعية، ص:73.

(4) مفهوم العدل في الإسلام د/ مجيد خدوري، ص:48-49،منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ص: 175.

إدراكا يقوم على نفي عن الله تعالى كل يدخل في نطاق المشاهد والمدرك بضرورات العقول وبدائهها.

وأنّ الله سبحانه لطف بالإنسان وأرسل إليه الرسل ونزّل الكتب لهدايته، وهو مسؤول أمامه، ومقتضى هذه المسؤولية، أن ينفرد الإنسان بالعقل لكي يمكن مساءلته عنه، ولو كان الله عزّوجلّ من خلال القضاء والقدر تأثير فيما يأتي الإنسان أو يذر، لما كان الإنسان فاعلا كامل الفعل، ولكان من الظلم أن يعاقب الله تعالى الإنسان على فعل الشر، ولكان من المحاباة أن يُثاب على ما يُعتبر عملا خيرا أو حسنا؛ لأنه لم ينفرد في القيام به.

فالعدل قيمة كمال أساسية لله تعالى، لا ويمكن تصور ألوهية بدونها، ومقتضى تنزيهه عزّ وجلّ وعدله أن يكون غير مؤثر مباشرة في أعمال الإنسان المفروضة الثواب والعقاب[1].

والعدل من القيم الضرورية لحياة الناس، لذلك ارتبطت به جميع الأحكام والتشريعات، فلا توجد شُعبة من شعب الحياة في الإسلام إلا وللعدل فيه حضور قوي، فهو موجود في علاقة الإنسان بخالقه، وفي علاقة الناس مع بعضهم بعضا، على مستوى الأفراد داخل الأسرة، وفي السلوك الاجتماعي، وفي القضاء وفي نظام الحكم، وفي العهود والمواثيق، إلى غير ذلك من أنظمة الإسلام المختلفة، وهذا يؤكد بوضوح على قيمة العدل ومكانته في جميع مجالات الحياة، وقد حاول الراغب الأصفهاني بيان المجالات التي يشملها العدل في كتابه

(1) انظر مقال: نظام القيم في القرآن والتجربة الثقافية الإسلامية في زمانين ،د/ رضوان السيد. سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر: أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء ص:21-22،طبع أبي رقراق للطباعة والنشر،(ط) الأولى،1433هـ-2012م.الدار البيضاء-المغرب.

الذريعة إلى مكارم الشريعة[1]: «والذي يجب أن يستعمل الإنسان معه العدل خمسة أشياء:

الأول: بينه وبين رب العزة – عز وجل – بمعرفة توحيده وأحكامه.

والثاني: بين قوى نفسه، وذلك بأن يجعل هواه مستسلمًا لعقله، فقد قيل: أعدل الناس من أنصف عقله من هواه.

والثالث: بينه وبين أسلافه الماضين في إيثار وصاياهم والدعاء لهم.

والرابع: بينه وبين معامليه في أداء الحقوق، والإنصاف في المعاملات من البيع والشراء والكرامات وجميع المعاوضات والإجارات.

والخامس: بث النصفة بين الناس على سبيل الحكم، وذلك إلى الولاة وخلفائهم».

ومما يلفت النظر في هذه المجالات التي يشملها العدل في الإسلام تحقيق العدل في داخل كيان الإنسان نفسه. فالعدل باعتباره قيمة كونية، جاء الأمر به في القرآن مطلقا وعاما، من غير تقييد ولا تخصيص قال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[النحل: 90]. ومن المجالات التي يشملها العدل:

أولا: عدل الإنسان مع ربه عز وجل: وهي معاملة مع خالقه بالاعتراف له بصفاته وبأداء حقوقه»[2]، فلإنسان مأمور بالعدل مع خالقه، إذ لله عليه حقوق. وحقوق الله تعالى على العباد أن يعبدوه –كما في حديث معاذ–ومن استنكف عن عبادة الله تعالى، أو عبد غيره، فقد وضع الشيء في غير موضعه، وهذا ظلم يتنافى مع العدل.

(1) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة ص:251.

(2) التنوير والتحرير: 1/ 255.

ثانيا: عدل الإنسان مع نفسه: إذ المُسلم مأمور بالعدل في ذاته، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، فتجنيب النفس الهلاك عدل، وإيقاعها في الهلاك ظلم، وزاد النبي ﷺ تأكيدا لهذا المعنى، في قوله: «إنّ لنفسك عليك حقا»[1]، فللنفس على المرء حقوق، يجب مراعاتها ولا يجوز التفريط فيها، لأنه من العدل و«العدل في الاسلام فريضة شرعية وليس مجرد حق من الحقوق التي يمكن أن يتنازل عليها وإلا كان ظلما للنفس مما يدخل في دائرة الإثم، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾[النساء: 97].[2] وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾[آل عمران: 135]

ثالثا: العدل في الحكم: من أهم المجالات التي وردت النصوص الشرعية في الحث على إقامة العدل فيها، هو مجال الحكم، وذلك لما يترتب عليه من آثار على حياة الناس لأنّه أحد الأسس التي ينهض عليها نظام الحكم في الإسلام.[3]

وفي الحديث النبوي «ما من عبد يسترعيه الله يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»[4]، وأكبر غش يحدث للأمة حينما يغيب العدل في حياتهم. وفي التنزيل تأكيد على ضرورة الحكم بالعدل بين الناس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾

(1)جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الصوم ،باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع،رقم1968.

(2) الإسلام وحقوق الإنسان، د/ محمد عمارة ص: 66.

(3) نظام الحكم في الإسلام ص:45و46، مفهوم المساواة في الإسلام ص:31،الذريعة إلى مكارم الشريعة ص:251.

(4) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، رقم :142.

[النساء: 58]، والآيات التي تحثّ على تحري العدل في كل شيء، ومنها في الحكم قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: 8]

فالعدل المطلوب تحقيقه، هو الذي لا يميل مع الهوى ولا يتأثر بالحب والبغض، ولا تغير قواعده المودة والشنآن. ولم يكتف الاسلام بالأمر بالعدل بل نهى عن نقيضه وهو الظلم بكل صوره و عن البغي والاعتداء و وجوب إزالته عنهم ومعاقبة المعتدي.

وهناك مجالات أخرى يشملها العدل، من ذلك كتابة الحقوق قال تعالى ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾[البقرة: 282]. وكذا إقامة العدل في الكيل والوزن، قال تعالى:﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35]، وغير ذلك من المجالات.

المطلب الثالث: المحبة والاحسان بين تعاليم المسيح والشريعة الإسلامية

أ-مفهوم المحبة في المسيحية ومكانتها

كانت الشريعة الموسوية تقف عند تعادل الحقوق والواجبات واحترام حقوق الآخرين، لأن كل إنسان كان يعتبر خارج الآخر منفصلا عنه، وكان من حقوق الانسان في الشريعة القديمة أنّ العين بالعين والسن بالسن. «وكانت هذه شريعة العدالة الطبيعية التي تجاوزت شريعة الغاب التي لا يقف ثأرها عند حد. فإذا المسيح يقول بتجاوز شريعة العدالة الطبيعية نفسها ويطلب أن لا يتوقف الانسان العادل على مستوى الشر لمقاومته... بل يتجاوزه حتى التساهل والتغاضي... ولهذا فلإنسان العادل بحسب تعاليم المسيح هو الذي يعطي

الانسان الشرير حقه العميق، بأن لا يعامَل بحسب شرّه السطحي الظاهر، بل بحسب إنسانيته الكامنة وراء هذا الشر إلى إنسانية الحق»[1].

وفي الصلاة تتجسّد معاني العدل والمحبة التي دعا اليها المسيح: «أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا، اعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير، لأنّ لك الملك والقوة والمجد الى الأبد آمين. فانه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم»

وقال: «سمعتم أنه قيل: «العين بالعين والسن بالسن» أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير، بل من لطمك على خدك الأيمن فأعرض له الآخر ومن أراد أن يحاكمك ليأخذ قميصك فاترك له رداءك أيضا[2]...من سألك فأعطه ومن استقرضك أقرضه ولا تعرض عنه. سمعتم أنه قيل «أحبب قريبك وأبغض عدوك» أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعدائكم وصلوّا من أجل مضطهديكم، لتصيروا بني أبيكم الذي في السموات لأنه يُطلع شمسه على الأشرار والأخيار، وينزل المطر على الأبرار والفجار. فان أحببتم من يحبكم، فأي أجر لكم؟ أو ليس العشارون يفعلون ذلك؟ وإن سلمتم على إخوانكم وحدهم، فأي زيادة

(1) الانسان العادل، غريغرويوس حداد،ص:106-107- بتصرف- (محاضرات الندوة- العدالة في المسيحية والإسلام عدد:11-12).

(2) والقميص هو أشد الثياب ضرورة، وهو يحمل بعداً معنويا الى جانب قيمته المادية. فهو لا ينزع الا عن الذي يُباع كعبد، أما الردّاء فهو يستعمل إلى جانب استعماله كثوب، كغطاء في الليل، ولذلك لم تجز الشريعة اليهودية احتجازه إلا نهاراً واحدا [خروج؛ 22/ 25]. انظر: الكتاب المقدس، النسخة اليسوعية؛ ص:2094- الهامش-.

فعلتم؟ أو ليس الوثنيون يفعلون ذلك؟ فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم السماوي كامل» [متى:5/ 33-40].

«سمعتم أنه قيل للأولين» لا تقتل فان من يقتل يستوجب حكم القضاء وأنا أقول لكم: من غضب على أخيه استوجب حكم القضاء ومن قال لأخيه: «يا أحمق» استوجب حكم المجلس ومن قال له «يا جاهل» استوجب نار جهم. فإذا كنت تقّرب قربانك الى المذبح وذكرت هناك أن لأخيك عليك شيئا، فدع قربانك هناك عند المذبح، واذهب أولا فصالح أخاك ثم عُد فقرّب قربانك[1]. [متى:5/ 21-25].

إن ما يجب التخلي عنه في تعاليم المسيح هو الحق في الثأر، وعن ما يعتبر في حالات عدة دفاعا مشروعا عن النفس. «فإن كل عنف يحيل الى نقطة بدائية، لأنه يدرك دوماً كثأر مشروع فوحده التخلي غير المشروط عنه يمكن أن يقود إلى نتيجة إيجابية ودون ذلك يتسلسل العنف لأنه لا أحد يشعر بالمسؤولية الأولى عنه».[2]

فالحق بالمحبة كاف لاستيعاب كافة الحقوق ومن ثم الواجبات والمحبة كمال للعدالة لأنها لا تقف عند النصوص والتفاصيل بل تتكيف مع حاجات القريب وحقوقه بواسطة الوحي الداخلي الخلاّق[3]، وحين سأل بطرس يسوع «كم مرة يخطئ إليّ أخي فاغفر له؟ أإلي سبع مرات؟ فقال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات» [متى:18/ 21-22].

(1) يتبيّن في وصية المسيح أنه لا ستنكر تقديم الذبائح الطقسية ولا يقول بأن دعوته تنسخ الناموس، بل هو يدعو الى إعادة إحياء الغايات من هذه الطقوس.

(2) الحق والعدالة؛ اعداد وترجمة: محمد الهلالي وعزيز لزرق، دار توبقال للنشر، المغرب؛ ط1؛ 2014،ص:97؛ بتصرف.

(3) الانسان العادل؛ غريغوريوس حداد، ص:110-111- بتصرف.

والمحبة تعطي الإنسان إمكانية التشبه بالله: ففي عظة الجبل «كونوا كاملين كما أن آباكم السماوي هو كامل [متى:5/ 48].

فبدافع المحبة ولإقامة العدل أرسل الله ابنه الوحيد ليضع عن كاهل الانسانية وزر الخطيئة الوراثية فالعدالة ضرورية لئلا تصبح المحبة إحسانا وشفقة ومنَّة... ولتبقى دائما ذلك الحق المتطلب. العدالة الإلهية تتخطى هي أيضا العدالة والمعادلة بين ما يستحق الانسان وما يعطي الله.

«هكذا أحب الله العالم، حتى انه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية، فإنه لم يرسل الله إبنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» [يوحنا 3/ 17-18][1].

فالعدالة عمياء لا تبصر، ترى دون تحيّز، وتحكم بصرامة. وأما المحبة فإنها تتأنى وترفق... ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتدّ،...ولا تفرح بالإثم بل بالحق، وتتحمل كل شيء، وتصدق كل شيء... وتصبر على كل شيء إن شأن العدالة هو ما يختص بحقوق الآخر وقضاياه الشرعية ومساواة الأفراد أمام القانون أما المحبة فهي تخّطي القانون إلى ما هو أسمى منه، لأن دور القانون ونظام الحكم يقتصر على الناحية السلبية وأما نظام الكنيسة وقانونها، فهو قانون المحبة نظام النعمة المعطاة بالإيمان[2]. لهذا فان أهم خط من خطوط إكمال الشريعة جاء به المسيح هو أن المحبة تتخطى العدالة والمبادلة التوازن بين الحقوق والواجبات لأن وحيها داخلي وحافزها الشريعة، فالمحبة ضرورية للعدالة كيلا تضيع هذه في المعادلات الحسابية الإنسانية، ولتبقى للعلاقات الإنسانية حريتها واندفاعها ونكهتها العميقة»[3].

(1) المرجع السابق، ص:113-116- بتصرف-

(2) المسيحية والعدالة الاجتماعية؛ فريدا حداد؛ ص:68-69-70- بتصرف-

(3) الإنسان العادل؛ غريغوريوس حداد؛ ص:105 و113.

لذلك فقد حاول «مارسيل دي كورت» وهو من العلماء المسيحيين المعاصرين بناء نظرية في القيم على أساس المحبة المسيحية «أحبوا» أعدائكم باركوا لأعينكم أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ... قال: لقد كشفت لنا فنومنولوجيا الحب عن طبيعته: أنه خضوع (الأنا) لنظام قيم متعالية وبلوغها من حيث أنه كائن راهن وشخص، فالحب الصحيح في رأيه هو بجوهره تواصل بين الكائن وبين ما يجاوزه،... فلا مناصَ أن يكون التعالي واقعا مجسدا وأن يستند إلى تعالٍ مطلق».[1]

لقد دعت كل الديانات السماوية إلى التشوّف إلى درجات الكمال في تمثل القيم العليا. لكن الفضائل الأخلاقية التي جاءت بها المسيحية «تتجاوز حد المثالية وتصطدم بالفطرة الإنسانية، فان الأمر بعدم الانتصاف من الظالم والانسحاب من الصراع حتى من أجل قضية عادلة، قد أدى إلى نتائج عكسية في كثير من مراحل التاريخ المسيحي وأقربها تاريخيا الثورات الفكرية والفلسفية التي أدت إلى النزعات الإلحادية التي قامت في أوروبا؛ منها ثورة نيتشه الفيلسوف الألماني على القيم الدينية التي تمثلها المسيحية والتي كانت في نظرهِ تتجاهل الطبيعة الإنسانية وتعارض حركة الحياة. «فتاريخ الكنيسة المسيحية مشحون بالأحداث الفردية أو الجماعية التي تناقض مقتضيات العدالة والمحبة والكمال»[2].

(1)انظر: العمدة في فلسفة القيم، د: عادل العوا،ص:456

(2)الإنسان العادل؛ غريغوريوس حداد، ص،114.

لذلك كان المنحى الأخلاقي من حيث الممارسة يخالف ما نصّت عليه نصوص العهد الجديد، ونلمس ذلك بشكل واضح من خلال التاريخ الأوروبي الدامي في القرون الوسطى.[1]

ب-الإحسان وعلاقته بالعدل في الإسلام

الإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشرّ بأقلّ منه[2]. وعرفه العز بن عبد السلام: بأنه عبارة عن جلب مصالح الدارين، أو إحداهما، أو دفع مفاسدهما أو مفاسد إحداهما.»[3].وهذا تعريف مقاصدي، وهو أنواع منه ما هو قاصر ومنه ما هو متعد، والإحسان المتعدي: يتعلق بالقلوب والأبدان، فإحسان القلوب بإرادة كل نفع للعباد، فإن الإرادة سبب لذلك، وكذلك بالصبر على المظالم، وبأن تحب لكل مسلم ما تحب لنفسك.

وأما إحسان الأبدان: فمنه الاسقاط كالعتق والابراء من الدين والقصاص والحدود، وسائر العقوبات.

وذكر بأنّ أعلى مراتب الإحسان: إحسان الإحسان وهو أن يُفعل على أعلى مراتبه خليّا من الشُبه والأذيّة والإذلال والمنّة[4].

ومن صور الاحسان غفران الإساءة والصبر عليها، قال تعالى: ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ** ﴾ [الشورى/ 43]. فالصبر عن الإساءة وغفرانها صفة

(1) انظر: الاخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية؛ كريمة دوز،ص،13،136، وانظر: أخلاق الانجيل؛ دراسة سوسيولوجية؛ ألبيربابيه؛ ت: سليم العوا؛ ص116،115.

(2) غريب ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني تحقيق نديم مرعشلي. دار الكاتب العربي، 1972. بيروت. مادة: (عدل).

(3) شجرة المعارف والأحوال العز بن عبد السلام ،ص:.135.

(4) شجرة المعارف ص/ 140.

للرحمان، وفيه توقع رجوع المسيء عن ذنبه.[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴾ [النور/ 22].

وكذلك العفو عن القصاص، احسان ومن أفضل الصدقات؛ لأنّه تصدق بالحياة، أو ببعض الأعضاء والصفات، وتشرف الصدقات بشرف المتصدق به، وأي شيء أشرف من الحياة بعد سلامة الأبدان[2]، قال تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ (المائدة/ 45).

وأما علاقة الإحسان بالعدل فقد بيّن الراغب في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ معنى كل من العدل والإحسان، ودرجة الطلب فيهما من حيث الوجوب والاستحباب أو الندب، فالإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل: هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان: أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد على العدل، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع،.. ولذلك عظم الله تعالى ثواب المحسنين[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(البقرة/ 195).

والمتتبع لأحكام الشريعة في مجال العلاقات والمبادلات يجد مستويين من الأحكام، لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر في الغالب، حكم الأصل والذي يتحقق به العدل، وهو مطلوب على سبيل الحتم واللزوم، والمستوى الثاني، وهو مطلوب على سبيل الندب والاستحباب، وهو الذي يسمى بالإحسان، من ذلك أنّ الأصل في إزهاق الروح القصاص، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ ﴾ (البقرة/ 179). وهذا هو الأصل،

(1) المرجع السابق: ص:170 .
(2) المرجع السابق:ص:170.
(3) مفردات ألفاظ القرآن، مادة حسن.

والمستوى الثاني دلّ عليه قوله تعالى في تتمة الآية السابقة: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾، فالعدول من القصاص إلى الدّية أو العفو هو إحسان.

ونقل ابن عاشور عن القرطبي: إِنَّ حكم الْإِنجيل العفو مطلقا والظَّاهر أَنَّ هذا غير ثابت فِي شرِيعة عيسى، لِأَنَّه ما حكى اللهَّ عنه إِلَّا أَنَّه قال: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [آل عمرَان: 50]، فلعلّه مِمَّا أخذه علماء المسيحِيَّة من أمره بالعفو والتَّسامح لكِنَّه حكم تُنَزَّهُ شَرَائِع اللهَّ عنه لِإِفْضَائِهِ إِلَى انْخِرَام نظام العالم، وشتَّان بين حال الْجَانِي بالقتل فِي الإسلام يَتَوَقَّعُ القِصاص ويضع حياته فِي يد ولِيِّ دم المقتول فلا يدري أيقبل الصُّلح أم لا يقبل، وبين ما لو كان واثقا بأَنَه لا قصاص عليه فإنَّ ذلك يُجَرِّئه على قتل عدوِّه وخصمه»[1].

والقاعدة التي يمكن أن تؤسِّس لهذا الأصل هو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل/ 126] وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى/ 40]. فالمعاملة بالمثل عدل، والتجاوز فضل وإحسان.

(1) التحرير والتنوير: 2/ 143.

الخاتمة

والذي نخلص إليه من خلال عرض رؤية كل من المسيحية والإسلام لفكرة العدل والمحبة أو الإحسان، أنّ مساحات التشابه واسعة في مقابل مجالات التباين، فمبدأ العدل في المسيحية والإسلام يتسم بالإطراد والشمول، فهو لا يميل مع الهوى، ولا يتأثر بالحب والبغض، وهو أيضا عام ومطلق، يبدأ بالنفس وينتهي إلى المخالف والعدو.

أما بالنسبة للمحبة والإحسان، فإننا نلاحظ أنّ المسيحية مؤسسة على أخلاق الامتناع، دون مراعاة أحوال المخاطبين، لذلك فانّ هذه القيمة التي دعت إليها المسيحية، لم تشغل في الأخلاق التطبيقية في الواقع المسيحي إلا مجالا محدودا مع بعض آباء الكنيسة أو النسّاك المنقطعين، كما هو معهود في جلّ الديانات، لأن الإرادات تابعة للملكات والاستعدادات؛ فعندما وجدت المسيحية فرصتها التاريخية اختلطت لديها الهداية بالسيطرة، وتداخلت إرادة القيصر مع إرادة الله وأصبحت ضراوة الحرب تعكس قدر الله، وانحصر تاريخ القداسة بتاريخ أُمّة دون غيرها فتقلص البعد الكوني للأخلاق المسيحية، وأخذت اعتبارات المصلحة والمفسدة والسيطرة وضرورات الوجود توجه القيمة، وقد أكّد هذه الحقيقة كثير من الباحثين، بخلاف اليهودية التي كانت قائمة على الانتصار المحض، وفضائل الناس –كما يقول العامري– لا تتم إلا بامتزاج أحوال الدين والدنيا، واشتباك أسباب الآخرة بالأولى ،ودين الإسلام هو المنتظم لها كلها، والوافي بعامة أبوابها، فقد جاءت الشريعة الإسلامية في كل شأن بتحقيق العدل

ودعت إلى الاحسان على سبيل الترغيب، ولم تلزم به، على سبيل الوجوب. ارتقاء إلى مراتب الكمال، قال تعالى: «فإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين»[النحل / 126]. وهذا أنسب للفطرة، وأليق بإدارة أحوال المكلفين.

قائمة المراجع

- الإسلام والمسيحية: بحوث في نظام القيم المعاصر؛ معهد الدراسات الإسلامي للمعارف الحكمية. دار الهادي بيروت لبنان ط الأولى 2003م.

-الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د: علي عبد الواحد وافي؛ مكتبة نهضة مصر، ط1، 1384هـ-1964م.

-الإسلام وحقوق الإنسان (ضرورات لا حقوق): د. محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (ط) الأولى2004-2005م. القاهرة -مصر.

- الاخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية؛ كريمة دوز، الطبعة، الثانية، أكتوبر2016م، مركز البراهين للأبحاث والدراسات.

- أخلاق الانجيل؛ دراسة سوسيولوجية؛ ألبيربابيه؛ ت:سليم العوا منشورات عويدات ط1 بيروت.

-الأخلاق في الاديان السماوية، أبو ضيف المدني، دار الشروق، ط1 1988.

-الاعلام بمناقب الإسلام أبو الحسن العامري، تحقيق أحمد عبدالحميد غراب، دار الأصالة للثقافة والنشر والاعلام الرياض الطبعة الأولى 1408هـ / 1988م.

-التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة: د/ إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة: د/ السيّد عمر، مدارات للأبحاث والنشر- القاهرة، مصر. الطبعة الثانية، ربيع الأول 1435هـ / يناير2014 م.

-التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس. 1984هـ.

- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين: أبو القاسم الحسين ،الراغب الاصفهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت –لبنان،1985.

- حوار الحضارات؛ روجيه غارودي، ت: د: عادل العوا، منشورات عويدات،ط1- بيروت.

- الخلاصة اللاهوتية، القديس توما الأكويني؛ ترجمة من اللاتينية إلى العربية؛ الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية؛ بيروت، لبنان،1887، ج 1، ص: 387..

- الحق والعدالة؛ اعداد وترجمة: محمد الهلالي وعزيز لزرق، دار توبقال للنشر، المغرب؛ ط1؛ 2014.

-الذريعة إلى مكارم الشريعة: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: أبو اليزيد أبوزيد العجمي، 1428ه-2007م. دار السلام- القاهرة.

- سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر: أعمال الندوة العلمية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء،21-22-23 جمادى الثانية 1432ه،ـ 25-26-27 ماي 2011م.تقديم د .أحمد العبادي. طبع أبي رقراق للطباعة والنشر، (ط) الأولى، 1433هـ-2012م.الدار البيضاء-المغرب.

- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال : الإمام العز بن عبد السلام السلمي، أعتنى به حسان عبد المنان ،بيت الأفكار الدولية. عمان .د.ت).

- شرح أسماء الله الحسنى: أحمد الفاسي المعروف بـ «زروق»، تحقيق: أحمد الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة. (ط) الأولى، 2009م.

-القاموس المحيط مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث ،في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (ط)1426هـ/ 2005م.بيروت –لبنان.

- قضايا الفكر السياسي- العدالة-؛ د:ملحم قربان؛ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع؛ بيروت، لبنان؛ ط 1-1412هـ-1992م. -

-القيم إلى أين؟ مدولات القرن الحادي والعشرين: مؤلف جماعي بإدارة جيروم بيندي، ترجمة: زهيدة درويش جبور، وجان جبور، منشورات، اليونيسكو، المجمع التونسي للعلوم، بيت الحكمة، قرطاج، 2005م.

- مجموعة الشرع الكنسي، أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التي وضعتها المجامع المسكونية والمقدسة، جمع وترجمة الإرشمنديت، حنانيا إلياس كساب، توطئة: البطريرك: إلياس الرابع؛ منشورات النور، بيروت، لبنان، ط2، 1998،

-المؤنس في القيم، د/ محمد الشيخ، الطبعة الأولى: 1436هـ/ 2014م.ر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية-سلطانة عمان.

- مبدأ الإنسان، د/ عبدالمجيد النجار، دار الزيتونة للنشر المغرب ط الأولى، 1417/ 1996م.

-محاضرات الندوة- العدالة في المسيحية والإسلام، السنة العشرون، عدد: 11-12). بيروت.

-موسوعة الروح: الروح في الديانات الكتابية والوضعية؛ د: علي العبيدي: مؤسسة الدرر السنية، الطبعة الأولى 1434ه، المملكة العربية السعودية.

-مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني تحقيق نديم مرعشلي. دار الكاتب العربي، 1972. بيروت.

- منظومة القيم المرجعية في الإسلام: د: محمد الكتاني، مركز الأبحاث والدراسات في القيم، الرباط المغرب، (ط) الثانية1433هـ-2011م.

- موسوعة الروح: الروح في الديانات الكتابية والوضعية؛ د: علي العبيدي.

- مفهوم العدل في الإسلام د. مجيد خدوري، ترجمة: أديب يوسف شيش. (ط) الأولى:2011م.دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق-سورية.

- مفهوم المساواة في الإسلام (دراسة مقارنة): د. رشاد حسن خليل، دار الرشيد للنشر والتوزيع، (د. ن. ت).الرياض، السعودية.

- المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ت: عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكري، دار الشعب، القاهرة، مصر، 1979،.

- نظام الإسلام (الحكم والدولة): محمد المبارك، دار الفكر، (ط) الثانية: 1395هـ-1974م.بيروت.

- النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الطناحي، المكتبة العلمية 1399/ 1979 بيروت.

-الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق وتعليق: محمد عثمان: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م.